

رواية الحسنة

زنوينا

تابع الصفحة ٤٦

— انها شهادة جديدة بالاعتبار التي يجاهر بها اليهود بلا وجل ولا حياء حيا بدياتهم الوطنية وافي ارناب اذا كان الرومان يعملون عمل اولئك القوم اذا وجدوا في محيط كمحيطهم كله ظلم واستبداد . وفوق ذلك ديانتهم ديانة الله غير منظور . فهم لا يعبدون دبا مصنوعا بالايدي . وهم لا يسخون لتقديمات بشرية . وليس لهم معابد ولا مذابح ولا تماثيل كما لنا . وهم يكرهونا كرها شديدا ليس فقط لاننا نختلف عنهم ديانة ومذهباً بل لاننا قوم مستبدون . ما نظرت عمري اسرائيلياً يمشي في شوارع روما منهمكاً بشمارته الا ورأيت فيه علامة الآخذين بالثأر والثقل . فهم مع كليلجولا يريدون الرومان ان تكون لهم رقبة واحدة فقط يزهوها عن جسدكم بضربة سيف واحدة . ويترعها يترعون الرومان من الارض ويسلب للقوم الراحة والسلام . اما من تحرك اظن كلام اسحاق كله رقة لان مذهبك يقرب من مذهب . وهو ربما لا يحقد على الرومان المسيحيين .

= لا . بالمعكس . اليهود اعداء لنا دائماً وهم يكرهونا أكثر منكم . لأنهم يحسبوننا منهم وانفصلنا عنهم . يحسبوننا كمتصين او كمدمعين . لاننا تركنا اعتقادهم القديم واتخذنا لنا اعتقاداً جديداً . ولكن لا تثنى بقولي هذا اني اؤم فذائل الشيخ اسحاق . كلا . بل لست كل اولاد دينة يكونون . فله محبين الانسان لأنه انسان ليس ألا

= ها ! اذا انا غلطان . كنت اظنكم واباعم من اعتقاد واحد وشعور واحد وعنصر واحد . واكن لا اظنك تجهل ابيال المسيحيين واليهود من نحنوا . اذا اعتقادنا بكم غلط فان الكتاب قد كتبوا ان مذهبكم مضر ومفسد للرأي العام وكله خرافات واباطيل . فصدتما ما كتبوا . واكن خطر لي خاطر وهو ان اليهود لم يدعوا احدنا بمذهبهم مع ان جمهوراً كبيراً من العامة ومن الخاصة اعتنقوا المسيحية . ومن ضمنهم المرحوم الامبراطور قليب . وكان يحق لي ان اعرف من هذا انه يوجد اختلاف بينكم وبينهم ولكن وقوع الاضطهاد عليكم وعليهم على السواء جعلني لا افرق بينكم كثيراً

= اعتقد انه سيأتي يوم يفحص فيه مذهبنا وبنا اعتباراً كبيراً من الامم . ولذا لا

اقول انه اتى؟ اليس الامبراطورية الرومانية في حالة سلمية الآن. عليها ملك قوي كريم وضع شرائع عادلة فاوقف تيار تعصب الكهنة. واليوم يزين رجال الفضل والادب بلادنا وكثير منهم يطلبون معرفة الله والحق. وعدد كبير من نسخ كتبنا المقدسة مكتوبة باليونانية واللاتينية ترى في كل مكان لمن يطلبها فيجد فيها ما يطلب من مذهبنا وديانتنا. واني مؤكد ان احسن يوم لتحيص المسيحية هو يومنا هذا. لا شيء في مذهبنا يربع احداً الا الذين عقولهم بنادة وهيونهم لا تبصر. فتأكد ان مذهب تعدد الالهة لا يقف امام المسيحية يوماً واحداً الا وينهزم ويصبح لا شيء. انت نفسك لا تعتقد بخرافات هذه الديانة البسيطة التي لا يعبر عنها (سامحي على جرأتى) واني اعتقد بكل اخلاص بان لا شيء يغيرك انت واحوانك الرومان عن مذهبكم الذي هو كفر حقيقة الى ايمان بالله الواحد الافراءكم لافواه في الكتب المقدسة وقراءكم لسيرة حياته المكتوبة بقلم تلاميذه واتباعه. اراك غير مصدق قولي. من عدة سنين كنت مثلك غير مؤمن. ولكن تراني مسيحياً الآن. كنت اباحاً اناساً كثيرين اقوياء. واجادتم اكثر منك وانك لتتعجب لما نسمع اني اعرفك قبل الآن اذ كنت تذهب لحانوت باليوس وتخطب في الناس. بالطبع تريد ان تعرف شيئاً عن حكايتي فاقول لك اني ابن احد كهنة هيكل جويتير كبير الالهة. واني رجل كالصخر في مذهب لا يتقلقل. غير انه لم يكره المسيحية. وكنت مساعداً له في مهنته هذه في الهيكل. وجل ما كان يحبه في هو ايماني الصياني البسيط واترامي لديانة دبت فيه الفضائل. ومع الزمان صرت اباً. اربعة اولاد ولد لي فجعلت يتي جزءاً من جنة عدن كما كنت افكر اما اهم = ولكن مالي ولوصفها الان؟ يكفي ان اقول عنها انها كانت رومانية 1 وكانت اجمل اوقاتى مداعبتي لاولادي ومحادثتهم وتفهمهم بعض اشياء علمية ووجودهم معي في الهيكل حيث اكون استمد لاياهم الخدم الدينية. فاسمع وقع اقدامهم السريعة على الدرجات الرخامية واصواتهم الفرحة ترددها جوانب الهيكل وعمداته. انتها الايام ما كان احلاك وابهاك اقبدر حازونك كانت سرعة ذهابك واختفائك تحت طيات الزمان ونفلباته. في سنة من السنين = وبالحسا من سنة ناسبة = اختطف اولئك الاولاد الاربعة مرض سائر وباعدت ارام بعد ذلك اليوم المائل. فانفطر قلب زوجتي من ذلك المصاب وتولته الكأبة فبرده واحلقاه ولكنها ما برحت ان لحقت باولادها. وبقيت انا وحيداً شريداً حزينا في هذه الدنيا. لا رفيق حياة اتمكل على رفقة ولا بنين انتظر

اليهم فليسوا وطرب . ولكن لا ازيدك شرحاً لحالي . يكفي ان اقول اني لعنت الالة
بمرارة وحرقه لا توصفان وصحت غضباً : من انتم يا من تجلسون فوق . وتجلسون مصائب
الانسان وبؤسه ملاهيكم والمالبكم ؟ انتم احقر من البشر اذاً . انا رجل . ومع ذلكما انزلت
باحقر عييدي اي مصيبة صغيرة . فابن مراحكم وشفتكم التي تدعونها بطلاً ؟ انكم لقاة
القلوب . نعم انتم قساة القلوب هكذا تكلمت كعجنون جنته غضبه وحزنه . ولا اعرف
كم طلل في المقام على هذه الحالة . لأنني لا اذكر الاوقات ولكي اذكر اني ابتقلت بل
انتقلت من الموت بواسطة رجل مسيحي كان يمكن يقرب بيني وهذا الرجل كان شاهد
حيان على مصائبي واحزاني . وبماضفة كلها اخلاص وودع شديدين جعل هذا الرجل
يقدم لي احتياجي ويخففني ويوماً قال لي : يا يروبوس اني اعرف احزانك واعرف
احتياجتك . واني اشعر ان افكارك وحتى فاعلة ايك المحترم لا تأتي لك بالسلام والاطمئنان
الذي تطلبه . ان هذا ليس بالامر المستغرب . فانا انتا الأ بشر وما لكما الأ قوة وحكمة
البشر . الذي تحتاجه هو . ونة من الملى . انا الآن لا احادثك كثيراً ولكن اترك
حدثك هذا الكتاب الذي اطلب منك ان تقرأه

قرأت ذلك الكتاب وراجعت مرات عديدة فالتفت بصحته فصرت مسيحياً من
مجرد ذلك . ويسمو المسيحية في زال عني الحزن والألم . والايام التي كانت مرة
— ايام البكاء والتعجب اصبحت ايام سكون وسلام . فانا الآن رجل ولد جديداً . رجل
ولد جديداً اي نعم) وحقيقة يا عزيزي كورتيوس لا اقدر ان اصف لك تأثير هذه القصة
الصغيرة على وعلى من تكأ كما وعلى الرجل ليسموا ما يقول واخص منهم اولئك الجنود
ذوي الطباع الخشنة فالتمسوع انهم على وجوههم المكدة من اشعة الشمس . وواحد
منهم المدعو ماسر قال صارخاً : واين آلهة روما وقوتها !

قال يروبوس هذا الكلام وتركنا وذهب صامتا نحو الدفة حيث كان الرينان . لما
انا ففهم لا نألم مفكراً بالرجل المسيحي وكتابه

بعد خمسة ايام نظرنا شواطئ الربيقا ومازلنا نسبح بالقرب منها حتى رأينا هيوثم
آتيكا وفرطجته على رأس اكمة واحدة بارزة في البحر ومن هنا ابتدأت الجلبة والضوضاء
في السفينة اذ اغلب المسافرين سمنزلون في ميناء آتيكا فيهمنون بجميع ما لهم من البضائع
والخوارج . وكانت الجند مرسلة للخدمة في الربيقا فتزلت مع من نزل الى البر ومنها سحلق
الشيخ ويروبوس . فشرحت بحون لاقترابي عنها وبقائي وحدي مع رينان السفينة الذي

يمكنني ان احادثه للتسوية فقط او لاعرف شيئاً اجيله . ولكن الامل بانه كان ملقاً مما في
تدمر حيث ن قصد ازال عني بعض الوحشة . اظنك هنا ترسم استهزاء بي لاهتمامي بهذا
المقدار باسرائيل صانع ومسيحي محقر ولكن سوف ترى اني سأصبح من الشاكرين لما
لما عملاً معي من المعروف . وقد قال لي اسحق قبل مغادرته السفينة الى الناصبي .

ايها النبيل يز ! اذا تركت يوتاً من الايام دبابة الالهة روما فليكن ذلك لتدخل
مجمع اولاد ابراهيم الذين ديانتهم ليست ابنة البارحة . فلا تنتر بكلام ذلك الهرطق
برو بوس . انا اقدر ان احكي لك حكاية اكثر تأثيراً من حكاية

لا تخف يا اسحق الصادق فانا لم اضجر من دبابة ابائي ولم احقرها بعد لانها
هي التي ربطت جموع الرومان برابطة متينة كل هذه الاجيال . فانا لست بالرجل السهل
استمالته واخذه . لا لك ولا ابرو بوس . استودعك الله الآن كي امل رؤياك في تدمر
ثم مر علي برو بوس وقال : اذا لم اقدر ان اراك في عاصمة الشرق ارجو ان اراك
في روما . فيبقى علي طريق ليفيان وليس بعيداً من هيكल الالهة الكبير . ويمكن ان
تراني في مكتب العلامة بابولوس صباح كل يوم

فأكدت له بانني اعمل جهدي لاراه لا ارجع لروما حتى ولو كثرت الشغالي ورجوت
ان اراه في تدمر اولاً

هكذا اتفرقا وحالاً بعد نزول البضائع والمسافرين للبر اقلدنا بدون ان نمر على قرطجة
وتأسفت جداً لعدم تمكيني من زيارة تلك المدينة المشهورة ولكن هبت علينا ربيع شمالية
ارجعتنا قليلاً نحو الجنوب ففدرت ان انظر لعاصمة افريقيا انارة اكتفيت بها وقامت .
وقد اخذني العجب من دلائل عظمتها وازدياد سكانها ونخامتها بعد ما اعاد اغساس بناها .
وكت ارى ايها الشاهقة وفلا عنها واسرارها العالية وقصورها واعمدتها المديدة من بين
ضباب سماء افريقيا المحرقة وانا على ظهر السفينة

وما كنت اصدق عيني اني انظر لمدينة خاضعة لروما العظيمة . وبعد مدة غاصت
المدينة واختفت تحت الانقي كما غاصت مجد لما يوماً مضى . . .

وبعد تركنا شواطئ افريقيا وصلنا جزيرة سيبيليا بسرنا محاذين لسانها فأبنا
بركان اتنا بقزف حمماً ودخاناً سود وجه السماء . ثم سرنا نحو كريت ففبر من حيث رأينا
في الاخيرة عظلة الطبيعة وبهجة المدن العامرة وجمال مناظر الجبال الشاهقة والادوية
العصيفة . وهبت ربيع خفيفة اخذت تقوى شيئاً فشيئاً وهي تقذفنا امامها في طريقنا حتى

بانت لنا شواطئ سوريا فكانت اجمل وابهى ما نزارنا . فرأينا جبالات شائعة خضراء . واودية تجري في بطونها الانبار . مناظر اندشت نفوسنا بعد التعب الشديد . وكانت ميناؤنا المقصودة بيروتوس (بيروت)

وبقدر ما كان النظر يمتد شمالاً وجنوباً كما نرى بلداناً عامرة بالسكان تدل على ان البلاد في غنى ونجاح . والمدينة التي كما تقترب منها كانت صغيرة ضيقة ومع ذلك كنا نرى المخازن والدكاكين والمرايح العديدة والمخلات العمومية منفردة هنا وهناك نطلها اشجار النخل الطويلة وغيرها من الانواع المختلفة الاوراق . فكنا في هذه المدينة اربعة ايام اشترينا في خلالها العبيد والجمال والخبيل وغيرها من لوازم السفر في الصحراء . وكان امامنا طريقان واحدة رأساً لدمر واحدة حولة فأخذت في صباح اليوم الخامس الطويلة حياً يردية مدينة هليوبوليس (حلب) وسافرنا فيها انا وارءه عبيد مع حملين وثلاثة خيول مع دليل عربي . هذه هي قفاتي الصغيرة شيراني حياً بالسلامة انفسنا الى قلعة اكبر من تجار وباتمين يقصدون مدينة الشرق كأنها مفرق الطرق . فكانت طريقنا في اودية ليبتاتوس (لبنان) وكنا نسير في ارض قوه مزروعة باعنتنا . زائد ما رأيت اهيئنا احسن منها حتى ولا في اودية بلادنا ايطاليا التي كلها زرع باع

وعند وصولنا الى بعلبك المدينة القديمة ظمت اننا لا نقف فيها كما كنا نأمل حتى ولا تقترب منها اكثر من ميلين او ثلاثة . وهكذا خدعت في ربتوس (بيروت) . وشق علي ان اقطع هذه المسافة لارى المدينة فاجب ! . . . ولكن خيبي لم تكن تامة لاننا بتحولنا حول جبل ظهرت لنا مدينة هليوبوليس وضواحيها وكان حجاباً رفع عن اعياننا فرأينا جمال ذلك المكان . كانت المدينة على بعد ثلاثة اميال عما فقدت ان تبينها قليلاً فرأيت المباني المهمة منها وهي هيكل الشمس المرتفع فوق اسوار البلد ومبانيها . ولكن بقية قد اخفى ذلك المنظر عنا اذ سرنا في عطفة من الطريق ودخلنا في بطن احدى الاودية العميقة في انتيليباتوس (لبنان الشرقي) الى ان بلغنا الصحراء طريقنا الى تدمر

هذه هي الاشياء التي كنا نراها في تلك البقعة مدة اربعة ايام . وفي اليوم الرابع بعد الظهر وصلنا فيبوع ما حار فشرنا وسقينا حيواناتنا واذا في اسمع بان المدينة العظيمة لجهة الشرق . فنظرت شرقاً فرأيت ارضاً خضراء محيطة بمدينة كبيرة وكان القلعة نهوت لرائى للديعة فأسرعت المسير لتقطع المسافة وتصل تدمر بسرعة وقد ابصرنا الارض عامرة بالسكان قبل المدينة بمدة اميال وفيها طرق منظمة دلت على اننا تقرب من عاصمة كبيرة .

وقابلنا بطر يقنا جموعاً كثيرة من الناس سائرة وواقفة مع فيله وجمال وحيوانات كثيرة . ورأينا عدداً كبيراً من منازل التصيف لسكان تدمر الاغنياء . ينقلون اليها الراحة من العمل ومن حر الصيف . جمال باهر وعظمة ، نهاية ! ايطاليا نفسها لا تداني هذه البلاد . والثياب الحريرية الجميلة التي كنا نرى الناس لابسينها ولباس القبلة التي كانوا يركبون بها كلها زادت في بهجة البقعة وجمالها . فحرت من هذه المناظر وصرت في دنيا غير هذه الدنيا . ثم انتهت لاصوات فراد القافلة وهم يرتقون تلة و يصيحون : تدمر ! تدمر ! مدينة تدمر ! فأسرعت للامام علي جوادى فرأيت منظرأ ما رأيت عمري حتى ولا منظر روما يشبهه . منظرأ جعلني اقف ، بهوتاً مذهلاً . مدينة محاطة بتلال صغيرة متساوية الارتفاع ممتدة على طول السهل من الشمال الى الجنوب ! وكل هذا السهل مدينة واحدة ! تخيل لي انها اكبر من روما مع اني اعلم ان روما اكبر منها

ومر علي وقت حتى قدرت ان اعرف سر هذه المدينة الكبيرة . فهي قسمين (المدينة) الحقيقية والضواحي . ولكنهما تظهران كأنهما متصلتان . فينش الناظر ويختار . المدينة محاطة باشجار النخل الباسقة والضواحي كلها قصور رخامية لكني ما قدرت ان افصل بين الاثنين ليمدي عنهما . ارض خلقتها ارض الالهة والقوم الاطهار الانبياء لم اصدق ان الانسان يسكنها . في وسط المدينة شيء واحد استلفت نظري وهو هيكل الشمس العظيم . رأيت اعمدته الالف الرخامية تصعد في الفضاء يخلج بجمال الالب . نظرت في روما هيكل كبير الالهة ولكن بالنسبة لهذا الهيكل فهو لا يذكر . بل هو كلمة زرت ميلان وافس والاسكندرية وانطاكية وفيها كلها ما شأدت شيئاً يقارب هذا الهيكل في النكبر والجمال والعظمة . وابصرت حوله اهراماً صغيرة ومسلات منقطة وقباباً واعمدات وقلاعاً لا توصف من كثرة عددها ومن تنامي جمالها . هذه البنايات واسوار المدينة كلها من الرخام الابيض او من نوع من الحجارة البيضاء . مدينة تقوق وصف الواصفين احببت ان اسكنها واقضي باقي ايامي في ربوها بسلام . وليس هذا اعتقادي اننا فقط بالمدينة بل اعتقاد كل المسافرين مي . فأنها اثرت فيهم ذات تأثيرها في . ومن ضمنهم بعض سكانها فلم بقدروا الا ان يصيحوا بافتخار وعجب : ما تكون روما امام هذه المدينة ؟ الايام لا تدوم . لماذا لا تكون تدمر ما كانت روما — سيدة العالم ؟ من اقدر من زنوبيا في الحكم والسياسة ؟ بعد سنين قليلة لشغب الامور ومن يقدر ان يتكهن بماذا يأتي المستقبل ؟ البقية صفحة ١٣٧